# الحوادث غيلة المنازل

إذا كانت الغيلة تعني التربص بالضحية ومباغتته بمكروه على حين غرَّة منه، فالحوادث هي الأخرى تحدث بغتةً في المنازل ، حيث تحمل صفة الغيلة إذا لم يحسب حسابها ويستبق وقوعها باحتياطات ضد محذورها، فهي مهيأة للغيلة؛ لتغتال البيتَ وأهله وتصبّ عليهم أعنف ما في طبعها، في حين اقتضت حكمة الخالق أن أمَّن خلقه من خوف اتبعوا سبل السلام .

وذلك يعني أن الإنسان يسير مسار الحياة الآمنة من مشوبات الرعب ورهاب الحوادث، فلا يكون آمناً منْ استحوذ عليه الخوف، ولا يكون في مأمن منْ أحاطه رعبٌ وبادرته ريبةٌ في محيطه ومقر سكنه ومحل إقامته، فأرشدنا بالذكر الحكيم، وأرسل الهادي البشير؛ ليعلمنا كيف نعيش بأمان ونسير في وفاق مع مكونات الحياة، رسم معالم وقعَّد قواعد وقنَّن ضوابط تضبط النشاطات ، وبيَّن طريق الأمان وطريق الخطر، وأرشد إلى سُلَّم الحياة وعكسها.

فمنْ سلك السبيل القويم أقام على السوية السالمة ، ومن ْخرج عنها قام ما ينافيها ، حيث أبانت الشريعة موارد الخطر فأرشدت إلى طريق الوقاية منه ؛ لتستقيم حياةُ الناس على أساس منطقها السوي.

فمنْ ذا الذي لا يرنو إلى سلم العيش وقوام المقام وهدوء الحال، إلا ذلك الذي لا يعطي السلامة حقّها من الرعاية ولا يُوليها ما

يوجب بقاءه ما شاء الله له البقاء، يصونها من المخاطر ولا يعرِّضها لمهالك تزعزع بقاءه وتزلزل حياته. فمنْ لم يرعَ ذلك ولم يكفلها ويحيطها بعنايته، فهو منْ يعرِّض نفسه وما ملك إلى ما يضطرب به حاله ، ولم يُعد عدة السلامة من مهددات الأحداث ، فلا يقيم وزناً لها فتبغته بغتتها ، وكأنها غيلة. وما أوقع الغيلة إذا غيلتْ على حين غِرَّة ! وما أوجعها إذا ضربت ضربتها وصاحبها عنها غافل تدخل البيت وأهله في أزمه جامحة!

**الأزمة الأسرية :**

الحوادث آلامها قاسية ونتائجها فادحة ووقعها ثقيلٌ على الأسرة وما تخلفه من تأثيرات أليمة مخرجها بئيس، فهي إنْ لم تصب في مقتل أصابت في موجع أو دون ذلك شيئًا قليلاً ، وإنْ لم تصب في موجع أصابت خرابًا ، وإنْ يكُنْ خرابًا فدمار للمنـــزل وأسرته ومحتوياته كلي أو موضعي، أدنى ما فيها تلفٌ لمقتنيات وأجهزة وأدوات ، وما تهدر من أموال وممتلكات ، وما تجرُّه من فجيعة تبهت النفس، وتكلأ بها الأرواح مُحدثة أزمة نفسية. متغير جديد مباغت داهم البيت، أحال أمنه خوفًا، وحوَّل أمانه فزعًا، وأوغل فيه رعبًا.

فاجعة تداعتْ لها الكوامن المنطوية على خطر، ما كانت على البال، حولت المنـــزل من قرار إلى زعزعة، ساد الخوف وارتجفتْ الفرائس، أعصاب منهارة وفجيعة مبهتة، مُسبِّبة أزمة نفسية لن تُمحى بسهولة أو تُنسى في عجالة، ستظل ذكراها في النفس تعشعش في الروح أسىً وحسرةً على ما فات وأصبح أثرًا بعد عين، ماثلة الأحزان في أرشيف الذاكرة، قابعة في المخيلة لحظةَ وقوع الحدث وآلام نتائجه، لا تفارقهم وقائعه ، مسبِّبة أزمة

أسرية لن تفارق أهلها مشاهدها، يرتسم في الأذهان سيناريو المأساة، لا سيما إذا كانت الفاجعة في الأرواح.

تلك أزمة الأزمات تقفز في الأذهان كلما حانت ذكراها استيقظ الأسى، تجيش له النفس ويتداعى معها الحزن، وإذا كانت الأزمات يمكن علاجها إلا الأزمة النفسية فعلاجها بطيءٌ حيث يظل أنينها يصدح في داخل الإنسان كلما طافتْ به الذكرى وتذكّر المأساة التي استخبأت بين الضلوع والحواشي، يصعب تشخيصها، أو وصف حالها ومرّ ذكراها إلا منْ ذاق علقم مذاقها واصطلى بحرِّ حُرقتها، وهنا سوف أنقلكم إلى شخص عايش الأزمة فعلاً وتلظى بها تجربة ؛ جراء حريق اختنق بدخانه ثلاثة من أبنائه ، كان كلما تذكر أو شاهد صبية في عمرهم تذرف عيناه بالدموع.

قال : لن أنسى تلك الليلة البئيسة الذكرى التي فقدتُ بها فلذات كبدي ، ما زالتْ شواهدها كما لو كانت فيلمًا سينمائيًّا أستعرض أحداثه على شاشة مخيلتي، كأنها واقعة الآن، فأنتفض وتهطل دموعي من حيث لا أشعر، وستبقى أحزانها ماثلةً داخلي لا أرى أني سأبرأ منها. إنها مأساة المآسي أنْ يموت أبناؤك أمام ناظريك! فكيف لك أن تنسى؟! وكيف لك أن تتجاوز؟! وكيف لا تتحوصل في جعبتك أزمة؟

وأردف قائلاً : كنت أعتقد أن الزمنَ كفيلٌ بنسيانها ولكنها تتجدد وتصيبني كآبةٌ ويلحقني ضجرٌ وينتابني الحزن، أسأل الله ألاّ يرزأ بها أحدًا من عباده؛ لأنها لا ترحم إنسانًا ولا تراعي مكلومًا ، ويظل الإنسان يقاسي مقاسين : مقاساة الحدث ، ومقاساة ذكراه وآلامه.

قلت له مقاطعًا: هل عرفت سبب الحادث؟ وأنا أريد بهذا السؤال أن أؤكد له أنه الجزء الرئيسي في الأزمة.

قال: نعم. لكن بعد فوات الأوان.

قلت: كيف؟

قال: الإهمال. قاتل الله الإهمال وقطع أوصاله. ثم مضى يسرد قصته مع أزمته.

قال: كانت غرفة الأبناء ضيقة شيئًا ما، محيطها اثنا عشر مترًا، أي أضلاعها ٣×٤، مفروشة بسجاد تتدلى منه أهدابٌ من خيوط مفتولة ، بها ثلاث أسرَّة بدواليب ، وطاولات عند كل سرير، وبها جهاز تليفزيون وجهاز بلاي ستيشن، ودفاية كهربائية كلها محملة على محول واحد متعدد المقابس، ويظهر أنه تحمل أكثر من قوة طاقته ، فازدادت حرارته فانفجر مرسلاً شرارة علقت بأحد الخيوط فأشعلت النار، فظلت تحترق خلف الدواليب التي كانت مغطية على الأفياش، ويتصاعد دخانها في حين كان الأبناء قد خلدوا إلى النوم.

وكان باب غرفتهم مُغلقًا ، وفجأة خرجت أم الأولاد إلى الصالة فاشتمت رائحة حريق ودخان يتسرب من تحت الباب، فصاحت صيحةً مرتعدة وقد أدركت الصوت فأتيت مسرعًا! فتحتُ الباب فاندلع الدخان بكثافة ولم أستطع الدخول ؛ لأن النار حالتْ دون دخولي، فهرعت إلى فصل قاطع الكهرباء ، فازداد الأمرُ سوءًا بوجود الظلمة، وحاولتُ إحضار إناء (سطل) ماء لإطفاء النار كل ذلك والأبناء داخل الغرفة، فمددتُ خرطومًا (ليًّا) من الصنبور، وكنتُ أكافح النار، وكلما صببتُ الماء ازداد الدخان وضايقني في عيني عندها شعرتُ بالإعياء.

سارعت أم العيال إلى الدخول مجازفة بنفسها؛ لتفقُّد أبنائها فوجدتهم خامدين لا حراكَ فيهم ، وظلت تصيح تنبه أحدهم تلو الآخر، عندها انهارتْ وسط الدخان مصروعةً باكية ، سارعت إليهم لأجدهم قد فارقوا الحياة مختنقين.

كان الرجل متلعثمًا، ممزوجًا صوته بحشرجة من لوعة الألم، حيث أشفقتْ عليه، لكنني أجزم أن الإهمال كان طاغيًا على تلك الغرفة، فإنْ كان الأبناء لا يدركون مغبة الحوادث ولم يقدِّروا سوءها فما بال الأب يفوته مثل ذلك وأمامه مؤشراته واضحة من اكتظاظ الغرفة ومأخذ كهربائي متعدد الأفياش ومقابس خلف الدواليب الخشب وسجاد بخيوط واهية وعدم وجود طفاية حريق؟!

ثم زاد الطين بلة فَصْل الكهرباء ، فانحجبت الرؤية، مما أدى به إلى أنْ تخبط في الظلمة وتعثرت المقاومة، تفاقم معها الحادث. صحيح ما كان أمامه غير ذلك التصرف لكنه كان تصرفًا أسوأ مما لو لم يفعله، وكان الأجدر به أنْ يلحق آخر رمق في الأبناء ؛ ليساعدهم على الخروج.

وعلى وجه العموم فحوادثُ الحريق لها ظروفٌ لا يستطيع أحدٌ أن يتكهَّن بها، والذي أقرؤه من هذا الحادث أن وفاتهم كانت قبل اكتشافه للحريق بفعل غاز أول أوكسيد الكربون الناتج عن السجاد، وهو غاز كاتم ببطء ، يتغلغل إلى الأنفاس ويقتل صاحبه على فراشه.

شاهدنا في هذا الحادث أن السلامة لن تنال بغير عهدة ولا حرص أو رقابة، هاتيك ثلاثة تعطيك ثلاثة: وقاية وحماية فسلامة، تحيل عنك ندامة ، وتطيب بها المقامة.

دارك دارك، عليها مدارك، فهي مدار سكنك ومأوى راحتك وخلو بالك، احفظ لها أمانها وركِّز له عوامل سلامتها.

احفظ عليك نفسك وزوجك وعيالك، فلا تكِلهُم لمهمة لا تترنح بهم غفلة، توبقهم حوادثها على حين غفلة، بيتك نعمة من نِعَم الله عليك، احفظ النعمة واشكره عليها، وقل: اللهم احفظها من الزوال والله يقول: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1] من موجبات شكر نعمة البيت ورعايته وتعهده بتزويده بما يحفظه وتجنيبه ما يعرِّضه لخطر ونردد دائمًا أحد خيارين.

**فَإِمَّا أَمَانٌ يُعِمُّ سَلاَمْ وَإِمَّا خَطَرٌ يُورِثُ أَلَمْ**

وإذا كانت العافيةُ نعمةً فالسلامةُ ركنها ، والحفاظ عليها واجب والحثّ على القيام بها حق والتبصّر فيها لازم. احفظ بيتك وعيالك من نِقَم الحوادث فهم رأسُ مالك وهم امتدادك وعُدّتُك في الحياة، من أجلهم تكدح، ومن أجلهم تكدّ وتتعب، سلامتُك من سلامتهم، وسلامتُهم سلامتك، فلا يهن هوانك أو تخفت همتك لتحققَ أهدافك، والسلامة من أهم أهدافك؛ لتهنأ في بيت سليم من آهات الحوادث وزفرات الندم وأنين الآلام.

❁۞❁

(١) سورة إبراهيم، الآية : ٧.